

التفقه في الدين منجاة للعاملين

الحديث عن رسول الله ﷺ:
«اطلبوا العلم ولو بالصين،
فإن طلب العلم فريضة على كل
مسلم»^(٤).

ومن خطبة لأمير المؤمنين
عليه السلام خطبها من على منبر
مسجد الكوفة:

«أيها الناس اعلموا أن كمال
الدين طلب العلم والعمل به،
وإن طلب العلم أوجب عليكم من
طلب المال»^(٥).

والتفقه في الدنيا هو أوجب
من غيره من العلوم التي يحتاج
إليها في المعاش وفي تطوير
وسائل الحياة. عن رسول الله
ﷺ: «ما عبد الله تعالى بشيء
أفضل من الفقه في الدين»^(٦).

وعنه عليه السلام: «إن لكل شيء
دعامة، ودعامة هذا الدين
الفقه»^(٧).

الخير الذي يحبه الله:

(٤) روضة الواعظين للفتال النيسابوري، ص ١١
ومشكاة الأنوار، ص ٢٣٩، وبحار الأنوار للعلامة
المجلسي، ج ١، ص ١٨٠، ح ٦٤.
(٥) الكافي للكليني، ج ١، ص ٣٠، ح ٤؛ وتحف
العقول لابن شعبة الحراني، ص ١٩٩.
(٦) كنز العمال للمفتي الهندي، ج ٢٨٧٥٢.
(٧) كنز العمال، ج ٢٨٧٦٨.

التفقه تعلم الدين:

التفقه الوارد في آية ﴿فَلَوْلَا
نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ
لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾^(١).

والفقه هو «العلم في الدين
والتفقه هو تعلم الفقه»^(٢).

فيكون معنى التفقه دائراً بين
«تعلم أحكام الشريعة، وبين
تعلم الدين» ومسائله وما يتعلق
به. ومما يشير إلى هذا المعنى
قول الإمام الصادق عليه السلام:
«سارعوا إلى طلب العلم،
فوالذي نفسي بيده، لحديث
واحد في حلال وحرام تأخذه
من صادق، خير من الدنيا وما
حملت من ذهب وفضة»^(٣).

أفضل العبادة:

إن طلب العلم فريضة
يتعبد المسلمون بها ويطيعونه
في السعي في سبيلها، ففي

(١) التوبة، ١٢٢. معناه «طلب التخصص
بالعلم بأحكام الشريعة، المفردات في غريب
القرآن للراغب الأصفهاني.
(٢) ترتيب كتاب العين، للخليل بن أحمد
الفراهيدي، ج ٣، مادة فقه، ص ١٤١٠.
(٣) المحاسن للبرقي، ج ١، ص ٣٥٦، ومشكاة
الأنوار في غرر الأخبار للطبرسي، ص ٢٣٦.

محاور الموضوع الرئيسية:

- ١ - التفقه تعلم الدين.
- ٢ - أفضل العبادة.
- ٣ - الخير الذي يحبه الله.
- ٤ - لا تكونوا كجفاة الجاهلية.
- ٥ - جوامع المطلب.

الهدف:

التعريف بقيمة «التفقه في الدين»، وأين هو موضعهما من شخصية المؤمن وحقيقة العمل الصالح، وأثار ذلك على صحة العمل وعدم صحته.

تصدير الموضوع:

عن الكاظم عليه السلام: «تفقهوا في دين الله فإن الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة والرُتب الجليلة في الدين والدنيا، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملاً»^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ٢٢١، ح ١٩.

إليه يصعد الكلم الطيب

وقال الشهيد الثاني: «إنَّ مجرّد تعلّم هذه المسائل المدوّنة ليس هو الفقه عند الله تعالى، وإنما الفقه عند الله تعالى بإدراك جلاله وعظمته، وهو الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع، ويحمل على التقوى ومعرفة الصفات المخوفة فيجتنبها والمحمودة فيتركها...»^(٦).

وهذا يدل على أمرين:

١ - أنَّ الفقه لا يقتصر على تعلّم الأحكام الشرعية، بل هو تعلّم كل مسائل الدين، وفي مقدمتها العقيدة الحقّة والخصال الحميدة.

٢ - أنه ليس فقط تعلّم الأحكام والمسائل، إنما لا بدّ من تطبيقها أيضاً.

حيث يصدّق الأمرين ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة، ولا يقبل المعرفة إلا بعمل، فمن عرف دلّته معرفته على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، إن الإيمان بعضه من بعض»^(٧).

عن الأصول وتنكّب طريق الدين القويم والصراط المستقيم، وإلى اتباع طريق الجاهلية.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ليتأسّ صغيركم بكبيركم، وليرأف كبيركم بصغيركم، ولا تكونوا كجفاة الجاهلية: لا في الدين يتفقّهون، ولا عن الله يعقلون»^(٨).

وقد ذمّ النبي صلى الله عليه وآله من لا يخصّص وقتاً لتعلّم أحكام الشريعة والتفقّه في الدين. عنه عليه السلام: «أفّ لكل مسلم لا يجعل في كلّ جمعة يوماً يتفقّه فيه أمر دينه، ويسأل عن دينه»^(٩).

قال العلامة المجلسي تعقيباً على الحديث: «المراد بالجمعة الأسبوع، تسمية الكل باسم الجزء»^(١٠).

أي يجعل في كل أسبوع يوماً ليتعلّم فيه أحكام دينه ومسائله. وإلا تحوّل إلى الجاهلية وضلالها، بعد أن حباه الله بنعمة الإيمان، وهواه ظلال رحمته.

إنّ الله إنما يحبّ عباده جميعاً، ويرحم جميع مخلوقيه ولكن قد نجد أنّ هناك نعمة خاصة يحبها الله تعالى بها بعض عباده دون سواهم، وهذا - دون شك - توفيق منه سبحانه.

وفي هذا المجال، يمكن أن نفهم ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا أراد الله بعبده خيراً، فقّحه في الدين، وزهّده في الدنيا، وبصّره عيوبه»^(١١).

وفي حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا أراد الله بعبده خيراً، فقّحه في الدين، وألهمه اليقين»^(١٢).

لا تكونوا كجفاة الجاهلية:

إنّ ترك التفقّه في الدين يؤدي بالمرء إلى التغرّب عن الأحكام الشرعية، وبالتالي، إلى تحكيم المزاج والأهواء في تطبيق الدين - بل في فهم الدين، وهذا يفسح في المجال أمام الأعراف والعصبية والمصالح والاستحسانات، في سبيل فهم الدين وتطبيقه، وبالمحصّلة، يدفع إلى الاقتلاع

(٦) كتاب «منية المريد في أدب المفيد

والمستفيد للشهيد الثاني، ص ١٥٧.

(٧) المحاسن للبرقي، ج ١، ص ٢١٥، ح ٦٢٣؛

والكافي، ج ١، ص ٤٤، ح ٢.

(٨) نهج البلاغة، الخطبة ١٦٦.

(٩) بحار الأنوار، ج ١، ص ١٧٦، ح ٤٤٤.

(١٠) نفس المصدر.

(١١) كنز العمال، ح ٢٨٦٨٩.

(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم للقاضي الأمدي،

الحكمة ٤١٢٣.